

هو العليم

نبذة من سيرة الإمام السجّاد عليه السلام

بحث منتخب من «نور ملكوت القرآن»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي



@MadrastAlwahy



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

جاء في «رياض السالكين» في طبعة سنة ١٣٣٤: ص ٣١، وفي طبعة جماعة المدرّسين: ج ١، ص ٢١٠ إلى ٢١٢: هو زين العابدين وسيد الزاهدين وقدوة المقتدين وإمام المؤمنين، أبو الحسن، وأبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. أمّه شاه زنان ابنة يزيد جرد بن شهریار بن كسرى. وقيل: كان اسمها شهر بانويه. وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي:

ولد بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام بستين، فبقي مع جدّه سنتين، ومع عمّه الحسن عليه السلام اثنتي عشرة سنة، ومع أبيه الحسين عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة، وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة. وتوفي بالمدينة سنة خمس وتسعين للهجرة، وله يومئذ سبع وخمسون سنة. ودُفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمّه الحسن عليه السلام، في القبّة التي فيها العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه. وكان يقال له: ذو الثّفنات، جمع ثفنة (بكسر الفاء). وهي من الإنسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ، لأنّ طول السجود أثر في ثفناته. قال الزهري: ما رأيتُ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.^١ وعن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: **كان علي بن الحسين عليه السلام يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكانت الريح تُمليه**

^١ «تذكرة الخواص» لابن الجوزي، ص ٣٣١؛ و«الإرشاد» للمفيد، ص ٢٥٧.

بمنزلة السنبلة.^١ وكان إذا توضّأ للصلاة يصفرّ لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند
الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟^٢

وقال ابن عائشة: سمعتُ أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن
الحسين عليهما السلام.^٣ ولمّا مات عليه السلام وجردوه للغسل جعلوا ينظرون إلى آثار في
ظهره فقالوا: ما هذا؟ قيل: كان يحمل جربان الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة
سرّاً.^٤ وكان يقول: **إِنَّ صَدَقَةَ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**.^٥ وعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه قال:
حجّ عليّ بن الحسين عليه السلام ماشياً، فسار من المدينة إلى مكّة عشرين يوماً وليلة.^٦ وعن
زرارة بن أعين قال: سمع سائل في جوف الليل وهو يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون
في الآخرة؟ فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه: ذاك عليّ بن
الحسين.^٧ وعن طاووس: إنّني لفي الحجر ليلة، إذ دخل عليّ بن الحسين فقلت: رجل صالح من
أهل بيت النبوة لأسمعنّ دعاءه، فسمعتَه يقول: **عُبَيْدُكَ بِفَنَائِكَ، مُسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ، فَقِيرُكَ
بِفَنَائِكَ**. قال: فما دعوتُ بهنّ في كربٍ إلّا فرّج عني.^٨

وحكى الزمخشريّ في «ربيع الأبرار» قال: لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة
لاستباحة أهل المدينة، ضمّ عليّ بن الحسين إلى نفسه أربعمئة منافية بحشمهنّ، يعولهنّ إلى أن
تقوّض جيش مسلم، فقالت امرأةٌ منهنّ: مَا عِشْتُ وَاللَّهِ بَيْنَ أَبَوَيِّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الشَّرِيفِ.^٩ وكان
عليه السلام كثير البرّ بأمّه، ف قيل له: إنّك أبرّ الناس بأمّك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة؟

^١ «الإرشاد» للمفيد، ص ٢٥٦.

^٢ «الإرشاد» للمفيد، ص ٢٥٦.

^٣ «البداية والنهاية» ج ٩، ص ١٥٤.

^٤ «المناقب» لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٥٣.

^٥ «المناقب» ج ٤، ص ١٥٤.

^٦ «الإرشاد»، ص ٢٥٦.

^٧ «الإرشاد»، ص ٢٥٦.

^٨ «الإرشاد»، ص ٢٥٦.

^٩ «ربيع الأبرار»؛ و«كشف الغمّة» ج ٢، ص ١٠٧.

فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عقلتها.^١ وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا خائفين برسول الله، وأصبح جميع أهل الإسلام آمنين.^{٢، ٣}

قراءة الإمام السجاد عليه السلام للقرآن ودعاء ختمه

أورد الكليني أيضاً بسنده المتصل عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، أن النوفلي ذكر الصوت عنده، فقال عليه السلام:

إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَقْرَأُ قُرْبًا مَرَّ بِهِ الْهَارُ فَصَعِقَ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ. وَإِنَّ الْإِمَامَ لَوْ أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا لَهَا احْتَمَلَهُ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهِ.

قُلْتُ: وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ؟

فَقَالَ: **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يُحْمَلُ النَّاسُ مِنْ خَلْفِهِ مَا يُطِيقُونَ.**^٤

و روى الكليني أيضاً بسنده المتصل عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: **كَانَ عَلِيٌّ بْنُ**

الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ وَكَانَ السَّقَاوُونَ يَمُرُّونَ فَيَقْفُونَ بِبَابِهِ يَسْمَعُونَ قِرَاءَتَهُ؛ وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا.^٥

لقد كانت تلاوة الإمام زين العابدين عليه السلام للقرآن، وشرح حالاته، وحال الإغماء والتحيّر والفناء التي كانت تحصل عنده وقت تلاوته القرآن لأمرٌ عجيبٌ حقاً؛ تُرى بأيّ نظر ورؤية كان يتلوه؟ وأيّة جهة من جهاته كان يواجه ويُقابل؟ من شاء الاطلاع الكامل على ذلك فليقرأ وليتدبّر وليتأمل دعاء الإمام عند ختم القرآن، الوارد في «الصحيحة السجّادية» ليدرك

^١ «مكارم الأخلاق» ص ٢٢١.

^٢ «كشف الغمّة» ج ٢، ص ١٠٧.

^٣ معرفة الإمام، ج ١٥، ص ٢٢.

^٤ «أصول الكافي» ج ٢، ص ٦١٦.

^٥ «أصول الكافي» ج ٢، ص ٦١٦.

الأبعاد الواسعة والجهات الكثيرة التي كانت تستلقت نظره المقدّس من كلّ جانب عند قراءته القرآن^١

و نكتفي هنا بإيراد عدّة فقرات من هذا الدعاء الكريم المبارك ونُحيل القراء الكرام إلى متن الصحيفة المقدّسة ليستفيدوا من دعاء ختم القرآن ومن سائر أدعيتها اللطيفة آناء ليلهم وأطراف نهارهم:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْتَنِي عَلَى خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُورًا؛ وَجَعَلْتَهُ مُهَيِّمًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ؛ وَفَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ؛ وَفَرَقَانَا فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ؛ وَقُرْآنَا أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ، وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَزْيِيلًا؛ وَجَعَلْتَهُ نُورًا مَهْتَدِي مَنْ ظَلَمَ الضَّلَالَةَ وَالْجَهَالََةَ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانَ قِسْطٍ لَا يَحِيفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ، وَنُورَ هُدًى لَا يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدِينَ بُرْهَانُهُ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُبَّتِهِ؛ وَلَا تَنَالُ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ.

اللَّهُمَّ فَإِذَا أَفْذَنْتَنَا الْمَعُونَةَ عَلَى تِلَاوَتِهِ؛ وَسَهَّلْتَ جَوَابِي أَلْسِنَتِنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آيَاتِهِ؛ وَيَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ وَمَوْضِحَاتِ بَيِّنَاتِهِ.

حتى يقول:

اللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْكَ، وَأَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ؛ وَسَلْمًا نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ؛ وَسَبَبًا نُجْزِي بِهِ النَّجَاةَ فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ، وَذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِهَا عَلَى نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ!

^١ ينقل الشيخ المفيد في «الاختصاص» ص ١٤١، دعاءً عن الإمام الصادق عليه السلام كان يتلوه بعد قراءة القرآن: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ قَرَأْتُ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ الصَّادِقِ، فَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ أَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ وَأَمَّنَ بِمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَاجْعَلْهُ لِي أَنْسًا فِي قَبْرِي وَأَنْسًا فِي حَشْرِي وَأَنْسًا فِي نَشْرِي، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تُرْقِيهِ بِكُلِّ آيَةٍ قَرَأْتُهَا لِي دَرَجَةً فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم. ... إلى آخر الدعاء الذي يزيد على ما نقلنا منه بمرتين ونصف ويحوي مضامين ومفاهيم عالية. وقد أورد العلامة المحدث الفيض الكاشاني هذا المقدار الذي نقلناه هنا في «المحجّة البيضاء» ج ٢، ص ٢٢٨.

ثم يصل إلى القول:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَدِّمْ بِالْقُرْآنِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا، وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ
عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوبِنَا وَعَلَائِقَ أَوْزَارِنَا، واجْمَعْ بِهِ مُتَشَتَّرَ أُمُورِنَا، وَأَزِدْ بِهِ فِي
مَوْقِفِ الْعَرَضِ عَلَيْكَ ظَمًا هَوَاجِرِنَا، وَاكْسُنَا بِهِ حُلَالَ الْإِيمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي نُشُورِنَا.^١

نعم، لقد كانت آيات القرآن تستقرّ في أعماق نفس الإمام السّجّاد عليه السلام فتسوق
فكره وذِكْره وعنايته من عالم الدنيا والغرور مباشرةً إلى عالم التوحيد والعرفان والبقاء. ولقد
كان القرآن هو الذي ينزّه ويطهّر الأئمة وأولياء الله ويوصلهم إثر المجاهدة وصقل النفس إلى
أعلى المدارج المتصوّرة....

[ملاحظة: هذا البحث مستخرج من كتاب نور ملكوت القرآن، ج ٣، ص ٢١٢، تأليف

المرحوم العلامة آية الله الحاج السيّد محمد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان الله عليه، وقد
تمّ توثيقه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الهيئة العلميّة في لجنة الترجمة والتحقيق، وتجدد
الإشارة إلى أنّ العبارات و الهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من الهيئة العلميّة]

^١ الدعاء الثاني والأربعين من «الصحيفة الكاملة السّجّاديّة».